عمر بن عبد العزيز ناقداً

د. علي كمال الدين الفهادي (*)

نظر الخلفاء الأمويون في أمر الشعر رواية وإستنشاداً ونقداً، وكانوا يثيبون أو يحرمون، ولا سيما معاوية بن أبي سفيان وعبدالملك بن مروان، فقد ولي كل منهما الخلافة قرابة عشرين سنة استقرت بهما الحال فازدهرت المجالس الأدبية في عهديهما، وكثيراً ما مزجت تلك المجالس الأدب بالسياسة والخلافة،فقامت الأحكام والمفاضلات بين الشعراء على ضوئها أو لخدمتها، وكان للمعارضة ونشاطها الدور في إذكاء النشاط النقدي فيها حيث تقوم المنافسة على زعامة الرواية والأدب قيامها على الزعامة والخلافة أما عهد عمر بن عبدالعزيز فكان سنتين وشهراً خفتت فيه حدة المعارضة، ولم يكن الخليفة يعبأ بشعر المديح وعقد مجالس للشعر والشعراء، إذ اهتم بأمر الرعية وبتنظيم بيت المال ما ينفق منه وما يرد إليه، وأجهد نفسه في إعادة التوازن الذي اختل بين الدنيا والآخرة فأكثر من تزهيد الناس ونفسه أولا بالدنيا والترغيب بالآخرة وحث الناس على القناعة بما في أيديهم وشرع أولا بأقاربه وأهل بيته فأعاد أموالا طائلة منهم إلى بيت المال سماها (المظالم) وشرح لعمته فاطمة بنت مروان نهجه الاقتصادي بقوله: "إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة، لم يبعثه عذاباً، إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه، وترك لهم نهراً شربهم فيه سواء، ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل على عمل صاحبه فلما ولي عثمان

(*) أستاذ مساعد _ قسم اللغة العربية - كلية الآداب / جامعة الموصل.

اشتق من ذلك النهر نهراً ثم ولي معاوية فشق منه الأنهار، ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبدالملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم، ولن يروي أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى ما كان عليه[1]، ومن هذه النظرة إلى مال المسلمين انصرف عن المديح وشعرائه، فحجب نفسه وعطاءه عنهم حتى قال مسلمة بن عبدالملك لوفود الشعراء: "أما علمتم أن إمامكم لا يعطي الشعراء شيئاً[2] حفاظاً على النهر الأعظم الذي صرح للشعراء بأنه لن ينفق منه إلا على وفق قوله تعالى: "إنما الصدقاتُ للفقراء والمساكينَ والعاملين عليها والمؤلفةِ قلوبهم وفي الرقاب والغارمينَ وفي سبيل اللهِ وابن السبيل فريضةً من الله والله عليم حكيم"[3] ولا عجب في هذه السياسة تجاه شعراء المديح وحجب نفسه عنهم[4] فهي سياسة جده الفاروق بل هي سياسة الراشدين جميعاً[5]، وعلى نحو ما أعاد المظالم إلى بيت المال، حاول إعادة الشعر والشعراء إلى نهر العقيدة ليردوا عذبه فيصدروا عنه بقيم تنسجم مع ما أحدثه الإسلام في نفسه ونفوس المؤمنين ليعيد الموازنة بين الدنيا والآخرة، قال لدُكَين الراجز: "إن نفسي لم تنل شيئاً قط إلا تاقت لما هو فوقه، وقد نلت غاية الدنيا (يعني الخلافة) فنفسي تتوق إلى الآخرة"[6]، ولقد أدرك الشعراء ذلك منه فقال كثير عزة بعد أن حجب من الدخول عليه، لو أتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئا فسمعت

(1) الأغاني، الأصفهاني: 9/ 337.

(2) المصدر ذاته: 9/ 3377 وينظر العقد الفريد، ابن عبد ربه: 2/ 87 ـ 90.

(3) سورة التوبة، الآية: 60.

(4) ينظر الأغاني: 9/ 3377 ـ 3382 والعقد الفريد: 84/2 ـ 90 و 5/ 292 ورسائل الجاحظ: 2/ 71.

(5) الشعر الإسلامي في عصر الإسلام، د.علي الفهادي، رسالة دكتوراه: 290.

(6) الأغاني: 9/ 3381 ـ 3382.

خطبة له يقول فيها: "لكلِ سفرٍ زادُ لا محالةَ، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله له من ثوابه وعقابه طلباً لهذا وخوفاً من هذا، لا يطولنَّ عليكمُ الأمدُ فتقسوَ قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم، واعلموا أنه إنما يطمئنُ بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة، فأما من لا يداوي جرحاً إلا أصابهُ جرحُ من ناحية أُخرى فكيف يطمئن بالدنيا! أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسي عنه فتخسر صفقتي، وتبدو عيْلتي،وتظهر مسكنتي يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق"[7]، وأدرك بعد سماعه الخطبة أن ما أعدّه من شعر على غرار ما كان يعده للخلفاء السابقين لن يجد صاغية من الخليفة الزاهد، فقال للأحوص الأنصاري ونصيب بن رباح" جددوا لعمر من الشعر غير ما أعددناه، فليس الرجل بدنيوي"[8]، وقد صاغ الشاعران ما يتناسب ومضمون هذه الخطبة وشخصيتها المؤمنة الزاهدة[9]، لقد احدث هذا التوجيه بداية رائدة في الشعر الأموي لم تلبث أن قُتلت على نحو ما قُتل شهيد إعادة الحياة إلى النهر العظيم، فالسلطان سوق فما نفق عنده حمل إليه[10] ولما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن[11]، فشخصية عمر وثقافته وخطبته وتوجيهاته للرعية ومنهم الشعراء جعلت الشعر ينمو في مضامينه ومعانيه نحو رؤية إسلامية للإنسان ودوره في الحياتين الدنيا والآخرة.

لقد كان لعمر بن عبدالعزيز اهتمام بسماع الأدب وروايته فقد روى عنه

---

(7) المصدر ذاته : 9/ 3377.

(8) المصدر ذاته: 9/ 3377.

(9) ينظر قصيدة كثير في الأغاني: 9/ 3378، وقصيدة الأحوص في شعره: 182 ـ 183 وشرح ديوان جرير، الصاوي: 274 و 415 و 509.

(10) العقد الفريد: 1/ 12.

(11) المصدر ذاته: 1/ 7.

قوله: "ما كلمني رجل من بني أسدٍ إلا تمنيت أن يمد له في حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه"[12] فاختصهم بالفصاحة والبلاغة لحسن منطقهم وأدائهم الحجة أداء فنياً جميلاً، وعندما أحسن رجل في طلب حاجة بين يديه، وتأتي لها بكلام وجيز ومنطق حسن، أثار إعجابه الإيجاز وحسن المنطق فقال: "هذا والله السحر الحلال"[13]، وكان حريصاً على أدب يلتزم الإسلام ويقف إلى جانب الحق في ما يرويه ويحفظه من أشعار فقد عُرف عنه كثرة إنشاده شعر عبدالله بن عبد الأعلى القرشي الذي يقول فيه[14]:

تجهـــزي بجهـــاز تبلغيـــن بـــــه ... يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثـــا
وسابقـــي بغتـــة الآجـــال وانكمشـــي ... قبل اللزام فلا منجى ولا غوثـــــا
ولا تكـــدي لمـــن يبقـــى وتفتقـــري ... إن الردى وارثُ الباقي وما ورثـــا
واخشي حوادث صرف الدهر في مهلٍ ... واستيقني لا تكوني كالذي انتجثـــا
عن مُديـــةٍ كـــان فيهـــا قطـــع مُدَّتـه ... فوافق الحرث موفوراً كما حرثـــا
لا تأمنـــي فجـع دهـــرٍ مورطٍ خَبِـلٍ ... قد استوى عنده ما طاب أو خبثـــا
يـــا رُبَ ذي أمـلٍ فيـــه علـــى وَجَـــلٍ ... أضحـــى بـــه أمســـى وقد جُئِثـــا
مـن كان حيـن تصيبُ الشمس جبهتـه ... أو الغبارُ يخاف الشَّينَ والشَّعثـــا
ويألـــف الظـلَّ كـــي تبقـــى بشاشتـهُ ... فسوف يسكن يوماً راغماً جَدَثـــا
فـي قعـر موحشـــةٍ غبـــراء مُقْفِـــرةٍ ... يطيلُ تحت الثرى في رمسها اللَّبثا

فكثرة إنشاده القصيدة، يدل على التزامه شعراً يهوّن من شأن الدنيا ويعزز مكانة الآخرة في نفس المتلقي ويذكره بالموت في خطاب يتجه إلى النفس أولا ومن

(12) البيان والتبين، الجاحظ: 1/ 174.

(13) المصدر ذاته: 1/ 255.

(14) أمالي القالي: 2/ 319 وينظر الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام: 158 ـ 159.

خلالها إلى الناس والرعية ثانياً، ومثل ذلك إنشاده ما ينهى الفؤاد عن الانقياد للصبا والشباب سيما بعد ان شابت مفارق المرء[15]، فهو بذلك يرجح الصنفين الأولين من أصناف الشعر الأربعة التي ذكرها ابن رشيق ويلزم الشعراء بها "فشعر هو خير كله، وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة، والمثل العائد على من تمثل به الخير، وما أشبه ذلك، وشعر هو ظرف كله، وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعاني والآداب، وشعر هو شرّكله وذلك الهجاء، وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس، وشعر يتكسب به، وذلك بان يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها، ويخاطب كل إنسان من حيث هو، ويأتي إليه من جهة فهمه"[16]، وهذا الالتزام يتفق مع وظيفة الأدب الأساسية التي يرى د. محمد مصطفى هدارة أنها نقل التجارب الإنسانية والتعبير عنها مؤثرا ومتأثرا بأوضاع المجتمع ليكون الأدب إنسانيا وليس مجرد أدب تطبيقي كما أسماه كرومبي[17].

وعلى الرغم من أن أخبار عمر بن عبدالعزيز تشير إلى تغنّيه بشعر الغزل إلا أنه غزل عفيف يشكو لواعج القلب من الشوق والبعد ويحن إلى أيام الصبا والشباب[18]، ومن تغنّيه بهذه الأبيات قال الجاحظ: "ولا نرى بالغناء بأسا إذا كان اصله شعرا مكسوا نغما ... فما كان منه صدقا فحسن، وما كان منه كذبا فقبيح"[19]، وشبيه بهذا التغني إنشاده قول قيس بن الخطيم[20]:

(15) تنظر الأبيات في أمالي القالي: 2/ 54.

(16) العمدة: 1/ 118.

(17) مقالات في النقد الأدبي: 159.

(18) تنظر أبيات اشهب بن رميلة أو ابن أبي رميلة الضبي في الأغاني: 9/ 3388.

(19) رسائله: 2/ 160.

(20) ديوانه: 103.

بين شكول النساء خِلقتهـــا قصدُ فلا جبلة ولا قُضفُ[21]

تغترف الطرف وهي لاهية كأنما شفّ وجهها نـــزف[22]

تنام عن كبر شأنها فـــإذا قامت رويدا تكاد تنغــرف[23]

وقوله فيه "قائل هذا الشعر أنسب الناس"[24]، فلقد وقف من شعراء الغزل الصريح موقف مؤاخذ محاسب موجه من أمثال الأحوص الأنصاري وعمر بن أبي ربيعة ونصيب بن رباح لا سيما في ذلك الشعر الذي يترك أثرا اجتماعيا بسبب من ذكر المرأة صراحة باسمها أو كنيتها فقد كان الأحوص "ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى بشعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس فنفاه سليمان بن عبدالملك إلى دَهلَك[25]، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز كتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى أن يأذن له ثم سأله رجال من الأنصار أن يرده إلى المدينة فقال لهم عمر: فمن الذي يقول[26]:

فما هو إلا أن أراها فجـــاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيــب

قالوا: الأحوص، قال: فمن الذي يقول[27]:

أدور ولولا أن أرى أم جعفـر بأبياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زوّارا ولكن ذا هوى إذا لم يزر لابد أن سيـــزور

(21) الجبلة: الغليظة، القضفُ: الدقة.

(22) تغترف الطرف: تشغل نظر الناظر فلا ينظر إلى غيرها لكمال حسنها، لاهية: غير محتفلة، شف وجهها نزف: في لونها مع البياض صفرة وذلك أحسن.

(23) تنغرف: تسقط.

(24) الأغاني: 3/ 888.

(25) دَهْلَكْ: جزيرة في اليمن كان الأمويين إذا سخطوا على أحد نفوه فيها.

(26) شعره: 213.

(27) المصدر ذاته: 125.

قالوا: الأحوص، قال: فمن الذي يقول[28]:

كـأن لبنـى صَبيـرُ غاديـــة أو دميةٌ زُيّنت بها البيـــعُ[29]

الله بينـــي وبيـن قيّمـــــها يفـرّ عنـّي بـــها وأتبـــعُ

قالوا: الأحوص، قال: بل الله بين قيمها وبينه، قال: فمن الذي يقول[30]:

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ودٍّ يوم تبلى السرائـر

قالوا: الأحوص، قال: إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول، والله لا أردّه ما كان لي سلطان"[31] فنقد الخليفة يأتي من حرصه على تماسك العلاقات الاجتماعية التي يضعفها ذكر الشاعر نساء جيرانه صراحة على نحو ذكر أُم جعفر، أو الاستهانة بالغيرة العربية المتمثلة بغيرة الرجل على بيته والتي يحاول خرقها الأحوص ويدعو الله – حاشاه – ليحول بينه وبين أصحاب هذه الغيرة ليحقق لنفسه مأربا خبيا. ويحرص الخليفة الناقد أيضا على حرمة يوم القيامة: وزمن الحساب الذي ذكره الله سبحان بقوله: "يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر"[32] وقوله: "يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد"[33] إذ لمح في مبالغة الشاعر ما يتنافى وعظمة ذلك اليوم الرهيب وأنكر عليه استثماره الكناية القرآنية عن يوم القيامة (تبلى السرائر) إزاء خلود حبّه وهواه، وقد أنكر على عمر بن أبي ربيعة تشبيبه

(28) المصدر ذاته: 144.

(29) الصبير: السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجاً. والغادية: السحابةُ تنشأ غدوة.

(30) شعره: 118، وينظر طبقات فحول الشعراء، ابن سلام: 2/ 657.

(31) الأغاني: 4/ 1462 وينظر خزانة الأدب، البغدادي 2/ 17 ـ 18.

(32) سورة الطارق، الآية: 10.

(33) سورة الحج، الآية: 2.

بالنساء في موسم الحج، فكتب إلى عامله على المدينة: "قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر، فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما واحملهما إلي، فلما أتاه الكتاب حملهما إليه. فأقبل على عمر فقال له هيه[34]:

فلم أر كالتجمير منظر ناظـــــر ولا كليالي الحج أفلتن ذا هـــوى

ومن ماليء عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون! أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك[35]!

ليس الأمر في نظر الخليفة مرهونا بالشعر ومضمونه بقدر ما هو مرهون بزمنه ومناسبته، إذ يعز على الخليفة المسؤول عن موسم الحج ومناسكه – الذي هو من شعائر الله ومما يثير الخشوع في أنفس المؤمنين – أن يؤول إلى ميدان للهوى والغرام والنظر إلى محارم الآخرين.

وإذا كان عمر بن عبدالعزيز قد آخذ الشاعر غيرة على النساء المسلمين عامة فقد آخذه من قبل عبدالملك بن مروان غيرة على نساء قريش خاصة وتاب الشاعر على يديه من قبل[36]، ويتلخص موقف الخليفة من هذا الشعر بالغيرة على استثمار الآيات القرآنية في يوم القيامة في شعر الغزل واستغلال مناسك الحج لبث الهوى ولواعج الغرام أو التشهير بالنساء بذكرهن صراحة بدليل قوله لنصيب: "إيه يا أسود أنت الذين تشهر النساء بنسيبك"[37]

وإذا كان الخليفة الناقد قد حجب الشعراء من الدخول عليه فقد سمح لنصيب

(34) شرح ديوانه: محي الدين عبدالحميد: 459.

(35) الأغاني: 9/ 3184.

(36) المصدر ذاته: 17/ 5980.

(37) المصدر ذاته: 1/ 347.

بإنشاد شعر لأن أوله الحمد لله[38]:

الحمـــد لله أمـا بعـــد ياعمـــــر فقد أتتنا بك الحاجات والقـــــدر

فأنت رأس قريش وابن سيّدها والرأس فيه يكون السمع والبصر

فأمر له بحلية سيفه[39]. فقد أمّل الشاعر الخليفة بأن يسمعه شعرا في دائرة الحمد لله والثناء عليه، ولا يدور في المديح والثناء على الخليفة الذي أوقف طوفان شعر المديح في العصر الأموي، ولعل هذا الموقف يذكرنا برفض عبدالملك بن مروان للمعنى الإسلامي المباشر يستقيه الشاعر من القرآن الكريم، إذ أنشده الراعي النميري[40]:

أوليّ أمـــر الله أنـــا معشـــــــر حنفاء نسجد بكرة وأصيـــلا

عرب نـــرى لله فـــي أموالنـــا حـق الزكـاة مترلا تتريـــلا

فقال له: "ليس هذا شعرا، هذا شرح إسلام وقراءة آية"[41]، لكن عمر يقبل هذا الحمد الموجز بكلمتين (الحمد لله) وإنتقالة الشاعر إلى المديح لأنه مشفوع بطلب الحاجة وربما عقد الخليفة أملا على الشاعر أن يستمر في صوغ المعاني الإسلامية بعد هذا الثناء الموجز، وسمح لعويف القوافي أن يحاوره بشعره لما فيه من معنى إسلامي إذ ابتدره الشاعر قائلا[42]:

أجبني أبا حفص لقيت محمداً على حوضه مستبشرا بدعاك

فقال عمر: أقول لبيك وسعديك! فقال:

وأنت امرؤ كلتا يديك طليقـــة شمالك خير من يمين ســواك

(38) شعر نصيب بن رباح: 90.

(39) العقد الفريد: 5/ 292.

(40) شعر الراعي النميري: 56.

(41) الموشح، المرزباني: 249.

(42) رسائل الجاحظ: 2/ 71.

علام حجابي زادك الله رفعــة وفضلا وماذا للحجاب دعـاك

فقال: ليس ذاك إلا لخير! وأمر لـه بصلة، إن صلة عمر لـعوِّيْف تعد هاهنا حكما نقديا بني على قبول وتأييد شعر إسلامي يشير إلى شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وورود المؤمنين عليه حوض الكوثر، والدعاء للخليفة بالرفعة والفضل من الله سبحانه، ودعوته إلى ترك الحجاب عن المسلمين، فضلا عن إعجابه بنباهة مبادرة الشاعر وسرعة بديهته وفطنته في التلطف لخرق الحجاب.

وكان يشترط على الشعراء عندما يأذن لهم بإنشاده ألا يقولوا إلا حقا من مثل قوله لكثيّر عزة والأحوص: "قل ولا تقل إلا حقا فإن الله سائلك"، وعند فراغهما من الإنشاد قوله لكل منهما: "إن الله سائلك عن كل ما قلت"[43]، وعندما استأذن جرير في الإنشاد قال له: "مالي وللشعر يا جرير؟ إني لفي شغل عنه، قال: يا أمير المؤمنين إنها رسالة من أهل الحجاز، قال: فهاتها إذن، فقال: [44]

كم من ضرير أمير المؤمنين لدى أهل الحجاز دهاه البؤس والضــرر
أصابت السنة الشهباء ما ملكــت يمينـه فحنــاه الجهـد والكبـــــــر
ومن قطيع الحشا عاشــت مخبـأة ما كانت الشمس تلقاها ولا القمـــر[45]
لما اجتلتها صروف الدهر كارهة قامت تنادي بأعلى الصوت يا عمر

لقد عرف جرير أثر شعر المديح المؤثر في نفوس الخلفاء تـأثيرا كبيرا فرأى بعد أن عرف عمر بن عبدالعزيز انه يختلف عنهم بنفس محصنة من تـأثير المديح وما ينفثه فيها من كبر قد يدفع بها إلى الغرور والعجب، فتنفق من أموال المسلمين

(43) الأغاني: 3377/9 – 3380.

(44) العقد الفريد: 84/2 ولم أجدها في ديوانه.

(45) قطيع الحشا: أي كأن عجزها منقطع من سائر جسدها لضمور خصرها.

إنفاقا في غير وجهه فأشار إلى قوة الخليفة المبنية على إقامة تماسك الجماعة وعدم الخضوع لتأثير شعر المديح فقال: [46]

تركت لكم بالشام حبل جماعـــة أمين القوى مُسْتَحْصِد العقد باقيا

وجدت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

فإذ يسمع رسالة أهل الحجاز شعرا من جرير يحمّل الشعر مهمة أداء الشكاوى إذ الشعر اقدر على تأدية الرسائل معبرة عن مشاعر الناس ونقلها إلى دار الخلافة.

ومن هذه المهمة التي رآها مناسبة للشعر اعجب برسالة شعرية لكعب الأشقري يقول فيها ناقدا سياسة الدولة في جمع الزكاة[47]:

إن كنت تحفظ ما يليك فإنما عمال أرضك بالبلاد ذئاب

لن يستجيبوا للذي تدعو لـــه حتى تجلد بالسيوف رقاب

بأكف مُنْصَلِتين أهل بصائر في وقعهن مزاجر وعقاب

هلاّ قريش ذكرت بثغورها حزم وأحلام هناك رغـاب

لولا قريش نصرها ودفاعها ألفيت منقطعا بي الأسبـاب

فعمر يقبل الشعر عندما يكون رسالة لرفع حاجة أو تقديم شكوى أو نقد سياسة الدولة أما عندما يكون مديح تكسب أو هجاء يعرّض أعراض المسلمين لألسنة الشعراء فإنه يرفضه، وقد يشتري أعراض المسلمين من الشاعر على نحو ما فعل مع الفرزدق إذ دفع له أربعة آلاف درهم على ألاّ يتعرض لأهل المدينة بمدح أو هجاء ولما خالف ذلك أنذره بالتنكيل بهِ إن عاد ثانية[48].

(46) ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب: 2/ 1043.

(47) ينظر البيان والتبين: 358/3 وشعراء أُمويون، القيسي: 2/ 390.

(48) الممتع في صنعة الشعر، النهشلي القيرواني: 17.

ويعرب عمر عن كراهته للمديح بصباحة الوجه وحسنه والتطيب بالطيب ويراه منطقاً يتعارض مع العقل العربي ورجاحته، فعندما دخل عليه خالد بن عبدالله القسري مهنئاً بقوله: من تكن الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها، ومن شرّفته فأنت قد شرّفتها وأنت كما قال الشاعر[49]:

وتزيدين أطيب الطيب طيباً أن تمسيّه أين مثلك أينـــــا

وإذا الدرُّ زان حسن وجـــوه كان للدُرِّ حسنُ وجهك زينا

فقال عمر بن عبدالعزيز: "أُعطي صاحبكم مقولا ولم يعط معقولاً"[50]، فاعتراضه مبني على ذوق عربي إسلامي صحيح "فأفضل مديح الرجال ما قصد به الفضائل النفسية الخاصية لا بما هو عرضي فيه، وما أتى من المدح على خلاف ذلك كان مغيباً[51]، واكثر ما تعتد به العرب في المدح الأفعال التي تتجشم الأنفس فيها الضرر لنفع غيرها"[52]. فضلاً عن أن الشعر قيل غزلاً بامرأة وليس مدحاً لرجل وشتان بين ما يمدح به الرجال وما يثنى به على النساء، وقد رفض عبدالملك بن مروان من قبل مديح عبيدالله بن قيس الرقيات المبني على التاج ووضاءة الجبين[53]، وكان عمر يرى أن الإسلام يفتح للشاعر آفاقاً كثيرة للقول ويوسع له دائرة المعاني، ويبدو ذلك واضحاً من محاورته لسليمان بن عبدالملك إذ سأله: أجرير أشعر أم الأخطل؟ فقال: إن الأخطل ضيّق عليه كفره القول، وإن جريراً

---

(49) لم اعثر على قائله.

(50) البيان والتبين: 2/ 134 وينظر 1/ 195.

(51) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: 214 وينظر كتاب الصناعتين، العسكري: 1/ 98.

(52) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني: 164.

(53) ينظر الموشح: 347 والأغاني 5/ 1723.

وسّع عليه إسلامه قوله"[54]، وربما تكون هذه المفاضلة بين شاعرين فريدة من نوعها في حياته النقدية بعد مفاضلته بين جرير والفرزدق إذ فضّل جريراً على الفرزدق لعفة بطنه وفرجه وليس لأفضلية شعره على شعر الفرزدق[55]، بل إننا لنجد مفاضلة أخرى بين موضوعي الرثاء والتشوق إلى الأحبة وديارهم، فقد أراد نصيب أن ينشده مراثي أبيه عبدالعزيز فقال عمر: "لا تفعل فتحزنني ولكن أنشدني قولك (قفا أخويّ) فإن شيطانك كان لك فيها ناصحا حين لقنك إياها" فأنشده: [56]

قفا أخويّ إن الدار ليست كما كانت بعهدكما تكـــون
ليالي تعلمان وآل ليلـــى قطين الدار فاحتمل القطين
فعوجا فانظرا أتبين عمّـــا سألناهـــا بـــه أم لا تبيـــن
فضلاّ واقفين وظلّ دمعـــي على خدي تجود به الجفـون
فلولا إذ رأيت اليأس منهـــا بدا إن كدت ترشقك العيـون
برحت فلم يلمك الناس فيها ولم تغلق كما غلق الرهيـن

وتقفنا هنا مقولته (إن شيطانك كان لك فيها ناصحا حين لقنك إياها) على اعتقاده بصلة الشعر بشياطين الجن الذين يلقون بأشعارهم على ألسنة الشعراء وأن النصح فيها كان لعفافها ورقة ألفاظها، وتناسق إيقاعها القائم على أكثر من تكرار يمهد لقوافيها، وانطوائها على عاطفة هادئة منسابة بحب ممزوج بحزن شفاف.

وبعد فعمر بن عبدالعزيز يعد من النقاد في توجيه الشعر والشعراء ووقفه طوفان شعر المديح بحجب نفسه وعطائه عنهم، وتغييره وجه هذا الشعر نحو

(54) ينظر الأغاني: 8/ 3052.
(55) الممتع في صنعة الشعر: 113 ـ 114.
(56) شعره: 135.

الآخرة والزهد بالدنيا، والمفاضلة بين الشعراء، والنهي عن ذكر النساء والتشبيب بهن صراحة في الغزل، ومنع الهجاء، وكانت شخصيته الإسلامية التي فهمها الشعراء كفيلة بتغيير مسار الشعر الأموي لو كتب له البقاء في الخلافة مدة أطول، وحسبه أنه أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن.

Abstract

Omar bin Abdul-Aziz as a Critic

Dr.Ali Kamal Al-Deen Fahad(*)

Omar bin Abdul-Aziz put an end to panegyric poetry thus changing the course of Literature into that of commitment to Islam and its cause.

Consequently, a spirit of renouncing worldly pleasure prevailed and people became wholly devoted to the hereafter. He turned poetry and oratory into ameans for preaching Islam, and, so, poetry was composed and criticized from an Arabic Islamic viewpoint.

He called for faithfulness in artistic imagery of poetry and its criticism assigning to it the task of criticizing the state and the caliphate. He also counterbalanced poets analysing their expressions and showing preference to the image of the ascetic spirit of a hero aspiring to the hereafter.

(*) Department of Arabic – College of Arts / University of Mosul.